السيف اللامع

تقدَّم السيد أنطونيو جوستينياني سفيرُ فينيسيا إلى جلالة السلطان الشجاع سليم؛ حانياً قامته احتراماً لجلالة السلطان، مقدِّماً أوراقَ اعتمادِهِ كسفيرٍ لبلاده، وعند عودتِهِ إلى بلادِهِ كان الجميعُ يريد أنْ يسأله عن أحوالِ تلك البلاد، وعن الحضارة والتقدم فيها، والتي كان الناس يتناقلون أخباراً كالأساطير عنها، وعن سلطانها، وكيف رأى جلالةَ السلطان.

ـ لم أستطعْ أنْ أرى السلطان!

عندما أجاب السفير أنطونيو بهذا الجواب، ازداد فضولُ السائلين أكثر!

ـ كيف؟! كيف لم ترَهُ وأنت دخلتَ قصره واقتربْتَ منه؟!!

ـ لم أستطعْ أنْ أراه.. رأيتُ فقط سيفَهُ اللامع، ومن شدة لمعانِهِ لم أستطعْ حتى أنْ أنظرَ إلى وجهِهِ.

وعندما بلغَ سمعَ السلطان هذا الكلام قال لحاشيته:

ـ أترونَ لمعانَ وبريقَ هذا السيف العثماني.. كلُّ مَنْ يقتربُ من السلطان يجبُ أنْ يرى لمعانَه، وعلى رأسهم أعداءُ الإسلام، ولكنْ إذا حدثَ ذات يومٍ أنَّ ذلك السيف دخل في غمدِهِ وأصابَه الصَّدَأ، عندها سيقتربون شيئاً فشيئاً من بلادنا وسيتغلَّبون علينا.

وللأسف الشديد جاء هذا اليوم.. وذهبتْ حضارةُ الألفِ عامٍ، تلك الحضارة التي كان يتكلَّمُ عنها الناس وكأنَّها أعجوبةٌ أو خيالٌ.. انتهتْ.. انتهتْ عندما بدأ أشخاصٌ مرضى فاقدو الأهليةِ بالتعامل مع هذه الإمبراطورية.

وبدأ السؤال المؤلم الموجع للروح:

إذا كان الإسلام جيداً؛ فلماذا المسلمون متخلِّفون؟